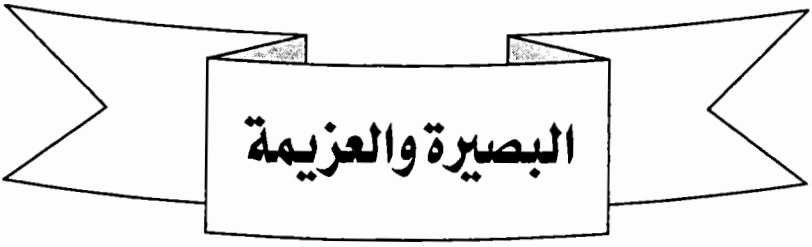

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾

[الأعراف: ٢٠١]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبعد..،

كانت الصفة الأولى التي آثرنا البدء بها هي صفة اليقظة والتفكر؛ وذلك لأن هذه الصفة هي مبدأ الهداية، فالعبد إذا استيقظ من غفلته، وتفكر فيما خلقه الله له، بصَّره الله تعالى بالغاية التي خلقه لأجلها وهي عبادته سبحانه، وبصَّره بسبل الوصول إلى تلك الغاية، فإذا ما لاحت أمارات الهداية والبصيرة في قلب العبد، واستنار قلبه بنور الهدى، تحركت عزيمته لسلوك سبيل المتقين، فاليقظة إذا ما تمكنت من العبد صارت تفكرًا، والفكر إذا رسخ صار بصيرة، والبصيرة إذا استنارت صارت عزيمة، فإذا وجد العزم فقد صدقت النية، وكان التوفيق من الله تعالى للعمل الصالح.

ومن ثم أتبعنا حديثنا عن اليقظة والتفكر بهاتين الصفتين وهما: البصيرة والعزيمة، وما أحوجنا اليوم إلى البصيرة النافذة التي تميز بين مشتبهات الأمور، وتنير الطريق؛ حيث اختلطت السبل، والتبست معالم الحق ومناراته بدروب الباطل ومسالكه، فتثبط أكثر الخلق عن سلوك سبيل الهدى، وفترت عنه عزائمهم.

وها نحن نرفع شعلة من نور نضيء بها الطريق، ونقول: إن الطريق من هنا:

من اليقظة لأمر الله.

من التفكر في الغاية التي خلق العبد لأجلها.

من البصيرة بدين الله تعالى وتبين سبيله.

من العزيمة الصادقة على سلوك هذه السبيل.

فهذه هي منارات الطريق، وتلك هي أعلامه ومعالمه!

فهل من مستضيء بتلك المنارات؟

وهل من سالك لهذا السبيل؟

ألا .. هلموا إلى سبيل النجاة!!

❊تعريف البصيرة:

❊البصيرة: هي قوة القلب المنوَّر بنور الله، يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها[1].

فالبصيرة إذًا قوة نورانية ربانية يخلقها الله تعالى في قلب المؤمن الذي استنار قلبه بالتفكر في طاعة الله تعالى، ولم ينشغل بشيء سوى وعده ووعيده، وجنته وناره، والشوق إلى لقائه، والحذر من سخطه وعقابه.

والقلب المتبصر هو القلب الذي استنار بنور الله تعالى وعرف الحق من الباطل، وتمرس بالنجاة من الفتنة والتغلب عليها، وإيثار الآخرة على العاجلة، ورضوان الله تعالى على شهواته ورغباته.

إنه القلب الذي يرى بنور الله تعالى، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾"[2].

---

(١) انظر: «التعريفات» للجرجاني ص(٤٦).

(٢) الحجر: ٧٥. والحديث رواه الترمذي (٢٧/ ٣) وقال: هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم، والحديث ساقه الهيثمي في «المجمع» من حديث أبي أمامة (١٠/ ٢٦٨) وقال: رواه الطبراني، وإسناده حسن. قلت: والحديث ليس به معنى يخالف النصوص الشرعية، ومثله يؤخذ به في أبواب الزهد والرقائق دون الأحكام الشرعية، ويشهد له ما سوف نورده بعد ذلك.

وقد وصف النبي ﷺ القلوب، ووصف فيها قلب المؤمن التقي الذي ينكر الفتنة ولا يقع فيها لتبصره واستنارة قلبه فيزداد قلبه بصيرة ونورًا حتى يصبح قلبه مثل الصفا لا تضره فتنة مادامت السموات والأرض؛ ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأيُّ قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيها نكتة بيضاء حتى تصير -أي القلوب- على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًّا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه..." الحديث[1].

والمؤمن الذي رزق البصيرة في دين الله تعالى هو الذي يميز بنور الله تعالى بين ما اشتبه عليه من الحلال والحرام، فيتبين الحلال فيأتيه، ويعرف الحرام فيجتنبه، ويميز بين سبيل الخير والشر، فعن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الحلال بَيِّنٌ، وإن الحرام بَيِّنٌ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ

---

(١) أخرجه مسلم في "الإيمان" / باب: ذكر الفتن التي تموج كموج البحر (١/ ٣٥٤) – ط. الشعب.

* شرح غريب الحديث:

- معنى "تعرض الفتن" أي: أنها تلصق بعرض القلوب أي جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به.

وشبه ﷺ عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحدًا بعد واحد.

- ومعنى "عودًا عودًا" أي: تعاد وتكرر شيئًا بعد شيء.

- ومعنى "أشربها" أي: دخلت فيه دخولاً تامًّا وألزمها وحلت منه محل الشراب.

- ومعنى "مربادا كالكوز مجخيًّا" جاءت مفسرة في آخر الحديث: قال أبو خالد: فقلت لسعد يا أبا مالك "ما أسود مربادًا"؟ قال: شدة البياض في سواد قال: قلت: فما الكوز مجخيًّا؟ قال: منكوسًا – أي: مائلاً..

ومعنى الحديث: أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام -وبصيرته- والقلب مثل الكوز فإذا تنكس انكب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك. انظر "النووي" شرح مسلم(١/ ٣٥٦).

لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام؛ كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"[1].

* أصل البصيرة وحقيقتها:

وأصل البصيرة وحقيقتها هي: في معرفة العبد للغاية التي خلق لأجلها، وهي التي أخبر الله تعالى عنها حيث قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

فإذا تفكر العبد في غاية خلق الله تعالى له، علم أنه إنما خلق ليحقق عبوديته لله تعالى متمثلة في طاعة أمره ونهيه، والتزامه بمنهج الله تعالى، وما أنزله على رسوله ﷺ في كل شأن من شئون حياته، في عبادته ونسكه ومعاملاته وسلوكه، في صلاته وصيامه وزكاته وحجه، في بيعه وشرائه ونكاحه وطلاقه، وسيره في الناس سيرة حسنة يرضاها الله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنون.

*البصيرة تفجر العزيمة:

اعلم يا عبد الله!

واعلمي يا أمة الله!

---

(١) أخرجه البخاري(٥٢)، ومسلم(٤/ ١١٠-١١٢) واللفظ له.

* غريب الحديث:

- معنى "مشتبهات" أي: أنها ليست بواضحة الحل ولا الحرمة، فلهذا لا يعرفها كثير من الناس، ولا يعلمون حكمها، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك.

- معنى "استبرأ لدينه وعرضه" أي حصل له البراءة لدينه من الذم الشرعي، وصان عرضه من كلام الناس فيه.

(٢) الذاريات: ٥٦.

أنك إذا استنار قلبك بنور الله تعالى، فصرت ذا بصيرة في دين الله تعالى، تعرف غايتك، وتعرف سبيل الهدى والفلاح فإنك سرعان ما يمتلئ قلبك بالعزم على العمل الصالح، والسعي ابتغاء مرضاة الله تعالى، والفرار من سخطه وعقابه.

❊العزيمة:

❊العزيمة: هي عقد القلب على إمضاء الأمر.

فكأن القلب قبل ورود العزيمة عليه يكون متحيرًا مترددًا بين الفعل والترك فإذا وقع فيه العزم، فقد انعقد على الفعل وإمضاء الأمر دون تردد ولا تحير، وذلك لوضوح الأمر لديه واكتمال همته، وقوة إرادته، ووضوح غايته.

ولأهمية العزيمة فقد كان ﷺ دائم التوجه إلى الله تعالى بطلبها، فكان ﷺ يقول في صلاته: "اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد"[1].

❊لا طاعة بغير عزيمة:

اعلم أخي المسلم! وأختي المسلمة!

أن الطاعة لا تتحقق ولا تحصل لك إلا بالعزيمة الصادقة؛ فالعزيمة هي: النية والإرادة الجازمة على الفعل، وقد أخبر النبي ﷺ أن «الأعمال بالنيات»، أي: إن الأعمال لا تكون ولا تحصل إلا بالنية وهي العزيمة الصادقة والإرادة الجازمة.

فالعجب كل العجب لمن تدعوه إلى الصلاة فيقول لك:

إنني أريد الصلاة، ولكن الله تعالى لم يأذن بعد!

وهذا العبد كاذب في دعواه أنه يريد الصلاة، فهو في الحقيقة إنما يمني نفسه مجرد أماني كاذبة أن يصلي، ولكنه لم يعزم في نفسه ولم ينو نية صادقة، ولا وجدت

---

(١) رواه النسائي(٣/ ٥٤) واللفظ له، والترمذي وأحمد، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحه برقم(٢٤١٦).

لديه إرادة جازمة للصلاة.

ولذا فقد أخبر الله تعالى أن هذه الطاعات العظيمة مثل إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على البلاء، كل ذلك إنما يحتاج إلى عزم وإرادة قوية. قال تعالى على لسان لقمان -عليه السلام-: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمورِ﴾[1].

إذًا فالعزيمة الصادقة تعني: المضي في الأمر وعدم التردد فيه، فإذا رزقت العزيمة في أمر من أمور الخير فهي منة ونعمة من الله تعالى عليك، فسارع باغتنامها؛ فإن القلوب سريعة التحول والتقلب، فلا تظل دهرك مشتت العزمات مترددًا بين الفعل والترك فتبقى حسيرًا منقطعًا.

ولله در القائل:

ومشتت العزمات يمضي دهره حيران لا ظفر ولا إخفاق

* العزيمة الصادقة مفتاح كل خير:

اعلم أخي الحبيب! أختي الحبيبة!

أن العزيمة الصادقة مفتاح كل خير، ولذا فقد كرر الله تعالى ذكرها في كتابه الكريم، وعلق عليها كثيرًا من الأمور العظام التي لا تتحقق إلا بعزيمة صادقة من العبد.

فقد علق عليها الصبر والتقوى فقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمورِ﴾[2].

---

(١) لقمان: ١٧.

(٢) آل عمران: ١٨٦.

وعلّق عليها كثيرًا من أمور الإيمان بدءًا من التوحيد وطاعة الوالدين وشكر صنيعهما، والصبر على مجاهدتهما في عدم الإشراك بالله تعالى، واتباع سبيل المنيبين إلى الله تعالى، وإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على البلاء فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ۞ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ۞ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۞ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا الله إِنَّ الله لَطِيفٌ خَبِيرٌ۞ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[1].

كما علق عليها الصبر والعفو والمغفرة وغير ذلك من أخلاق المتقين في قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ الله خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۞ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ۞ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ۞ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ البَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ۞ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى الله إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ۞ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّنْ سَبِيلٍ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[2].

وكذلك فقد سمي قيام الجهاد عزيمة وعزمًا فقال تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا الله لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾[3].

---

(١) لقمان: ١٣ - ١٧.

(٢) الشورى: ٣٦ - ٤٣.

(٣) محمد: ٢١.

وكذلك فقد وصف الله تعالى خير خلقه من خيرة رسله بأنهم أولوا العزم، فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[1].

وهذا كله يبين لنا أهمية العزيمة.

نسأل الله تعالى أن نكون من أهلها، وأن نكون من أولي العزم في دين الله تعالى، الثابتين على الحق، وأن نكون من الفرقة الناجية المنصورة التي أخبر عنها النبي ﷺ بقوله: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك"[2].

❁❁❁

(١) الأحقاف: ٣٥.

(٢) أخرجه البخاري(٧٣١١)، ومسلم(٤/ ٥٨٢) - ط.الشعب.